أبو العتاهية

تأليف الأستاذ محمد أحمد برانق

للأستاذ كامل محمود حبيب

المدرس رجل نال حظاً كبيراً من الأدب والعلم ، وأصاب قسطاً وافراً من أصالة الرأى وصفاء الذهن ، وجمع بين الثقافة العالية والتفكير الرصين ؛ فهو أجدر الناس بأن يخوض معمعة النشاط الأدبى والعلمى ، فعنده الاستعداد وبين يديه الأداة . ولكن الإنسان ليعجب أشد العجب أن يرى المدرس أقل الناس إنتاجاً وأبعدهم من معترك التأليف وأنآهم عن مجال البحث . فماذا ، يا ترى ، زهده فى هذه اللذة الفكرية وإن فيها لحياة للقلب وشحذاً للذهن وصقلاً للعقل ؟ أما أنا فلا أرى ما يدفعه عن ميدان الفكر إلا ما يعانى من عنت شديد فى العمل وما يقاسى من إرهاق عنيف فى المدرسة ، فهو لا يكاد يخلص من الدرس إلا ليندس بين أكوام من الكراسات تستحثه وترهقه وتشغل باله وتقتل وقته . وهكذا يبدد عمره فى إعداد الدرس ويفنى عقله فى تصحيح الكراسات ، ثم لا يفلت من هذا كله إلا ليلقى بنفسه فى خضم الدروس الخاصة وما به لهفة إليها ، أو إلى مضطرب التأليف المدرسى وما به رغبة إليه . ولكنها حاجات العيش ودوافع الحياة وطلبات الدار والولد تقذف به فى غير هوادة ولا لين إلى هذا السبيل عله يجد القوت الكريم واللباس الشريف والسكن اللائق . ولشد ما يدهش المرء حين يرى جيشاً لجباً من المدرسين المثقفين — يربو على سبعة آلاف — فلا يرى فيهم من يحن إلى البحث العلمى أو من يصبو إلى التأليف الأدبى ، اللهم إلا فئة قليلة لا تتجاوز العشرة ! فالمدرس — إذن — رجل يموج بين الإرهاق والإملاق ، فإن عكف على الحياة العقلية أو حمل نفسه على الناحية الأدبية أخرج للناس شيئاً فيه روح نفسه المضطربة وفيه سمات حياته المزعزعة .

وأشهد أن صاحب كتاب « أبو العتاهية » رجل من الفئة القليلة ، صبر على الجهد ورضى بالمشقة ليخرج بحثاً أدبياً فيه الاستقصاء والجهد والاستنتاج .

لم يكن أبو العتاهية شاعراً يتحدث عن خلجات قلبه ولا مفكراً ينطق بعقله ، وأنى له أن يفعل وهو « رجل فقير نشأ فى بيت متواضع وصنع الجرار مع أبيه ، فإذا نضجت الجرار حملها أبو العتاهية ، أو حمل أكثرها مع على ظهره ، وسار بين الحوارى والأزقة فى مدينة الكوفة يبيع جراره ويساوم فى ثمنها ، فإذا ألهبت الشمس قفاه ومس حر التراب أخمص قدميه وبلغ منه التعب مبلغه — ألجأه ما به إلى ظل حائط ، فيحط حمله ، ويجلس مستنداً إلى الحائط ظهره ، ويملأ بالدنيا متسخطاً عليها فيلتف حوله الصبيان يعبثون به ويعبث بهم ويتبسط معهم فى الحديث ... »

فهو لم يكن ذا علم وثقافة ، ولم يكن ذا عقل وحصافة ، فعاش حتى آخر أيامه فجاً لم تستكمل أداته ولا بلغ ذروة الشعر ولا جارى شعراء عصره — عصر الإبداع والازدهار — فتخلف عن الركب وانبهرت أنفاسه ولكنه اتخذ إلى الشهرة سبيلا هيناً سهلا ، فاعتمد على كبير من بنى معن يقذع له فى القول ويفحش فى الهجاء ، فى غير ذنب ولا جريرة ولكن الشاعر — فى رأيى — كان يحس فى قرارة نفسه ضعة الشأن وحقارة المنبت وضعوبة المرتقى فثارت قلبه غيظاً وحقداً ، فوجد فى الهجاء متنفساً يطفئ شرة غيظه ، ووجد فى هجاء عبد الله بن معن — وهو رجل عظيم من بيت كبير — طريقاً يعلو به إلى سماء الشهرة فى سهولة ويسر . والهجاء فن من الشعر لا يحتاج إلى كياسة ولا يتطلب لباقة . وهكذا طار صيت الشاعر فى الكوفة — أول الأمر — واشتد أنفه حين ضربه عبد الله بن معن مائة سوط جزاء ما أفحش فى القول .

وفى رأى العقل أن شاعرنا كان يتصنع فى كل شىء : فى الهجاء وفى الغزل وفى التصوف جميعاً . يتصنع الهجاء وما به مقت ويتصنع الغزل وما به هوى ويتصنع التصوف وما به زهد .

فهو حين شبب بجارية المهدى (عتبة) كان — فى رأيى — لا يبتغى من ورائها إلا أن تكون وسيلة إلى بيت الخلافة ، يرتفع بها شأنه ويزكو مكانه ، على حين لم تكن به لوعة ولا كان به شوق . وإن القارئ ليعجب حين يعجزه أن يجد فى نسيبه بيتاً واحداً

يقبض بعاطفة جياشة أو سطراً يخفق بحب عميق . وليس أدل على ما أزعم من قوله في عتبه وهي من أحب وتدلله في حبها واصطفاها بشعره وخصها — وحدها — بقلبه .

وقد أتعب الله نفسي بهـا وأتعب باللوم عـــذالها

فتعبير الشاعر عن نوازع قلبه بكلمة (أتعب) تعبير تافه لا ينطوي على شاعرية ولا سمو . فالكلمة مضطربة قلقة ، ثقيلة النطق وضيعة المعنى لا تتحدث عن صبابة وهوى ولا تكشف عن لوعة الحنين ولا تهز بلذعة الشوق . وفيها — فوق ذلك — معاني الضيق والملل .

ومما يدل على أنه كان في غزله عابثاً لا يبالي بمن أحب ما جاء في ص ٩٣ من الكتاب حين أنشأ كاتبه للمال ذكر عتبة فتقول « لو كان عاشقاً — كما يزعم — لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير وقد عرض عن ذكرى صفحاً » .

لقد اشتهر أبو العتاهية بين العامة بالزهد والتقشف ، أما أنا فحين أتحدث عن زهده فلا مندوحة لي عن أن أستنير برأي الحديث الشريف الذي يقول « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري رجل مسلم أبداً ، ولا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل مسلم أبداً » .

وينقل المؤلف في ص ٥١ سطر ١٣ خبراً يدل على أن أبا نواس كان يجل أبا العتاهية ويعظم زهده وتقشفه ، فلما سأله سائل « لم أجللته هذا الإجلال ؟ » قال « ويحك ! لا تقل ، فو الله ما رأيته قط إلا توهمت أنه سماوي وأنا أرضي » . وهـذا كلام عجيب إخاله لا يصدر عن شاعر عبقري فذ مثل أبي نواس تتألق روحه بومضات سماوية تزري بكل ما نظم أبو العتاهية في الزهد . ثم يحس المؤلف كذب الحديث فيقول في ص٥٢ سطر ٤ « وأنا من الذين يرجحون أن زهـد أبي العتاهية زهد متمثل لا يعبر عما في نفسه ولا يصور دخيلتها ولم يطرق فيه إلا المعاني العامة التي يتحدث الناس بهـا ، وإلا فما بال رجل هذا شعره يحرص على المال كل الحرص ويسلك مختلف المسالك لجمعه . »

هـذا ولقد رأيت في الكتاب أثر الجهد والصبر وطول البحث والاستقراء مما يدفعني إلى أن أقدر مجهود الأستاذ المؤلف حق قدره وأشكره على أن أخرج لنا صورة حية ناطقة من شاعر لا يعرف أكثر الناس عنه إلا شذرات لا تغني ولا تسمن .

كامل محمود حبيب

أعلام من الشرق والغرب

تأليف الأستاذ محمد عبد الغني حسن

بقلم الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

من واجب كل أمة تريد أن تستكمل نهضتها ، وترفع من شأنها ، أن تعرف ماضيها حق المعرفة . فليست القومية الوطنية إلا التاريخ المتجدد مع الزمان . ولست أدري كيف تريد أن تعتز بعصريتنا دون أن نعرف دقائق تاريخنا . وقد شاءت إرادة المستعمر أن يسدل بيننا وبين تاريخنا ستاراً كثيفاً من النسيان يحجبنا عنه حتى لا نتعلق بأذيال الوطنية ولا نطالب بالتخلص من نير الاستعمار فلم يكن يسمح بدراسة التاريخ القومي إلا بمقدار. حتى إذا قامت مصر قومتها ظهر كثير من المفكرين والكتاب يحاولون تدوين ذلك التاريخ القومي الذي يصل بيننا وبين ماضينا سواء في ذلك الماضي البعيد أو القريب . وأرخ لهذا الماضي القريب الرافض في الحركة القومية ولكنه عني قبل كل شيء بالجانب السياسي ولو أنه لم يغفل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية حتى لقد أفرد في كتابه فصولاً قصاراً ترجم فيها لبعض أعلام مصر الحديثة مثل رفاعة رافع الطهطاوي من البارزين في سماء النهضة المصرية .

ويحتاج التحقيق التام لحركة الأدبية في القرن التاسع عشر إلى مجهودات كثيرة يتقطع فيها الباحثون إلى التأريخ لرجال الفكر والأدب في القرن الماضي .

وقد دفعت وطنية صديقنا الأستاذ محمد عبد الغني حسن الشاعر الأديب إلى رسم صور محققة عن بعض أعلامنا يجد الباحث منهم العناء الشديد في التعرف إليهم . فنفض عنهم غبار النسيان وجلا للقراء صفحة مطوية من تاريخ مصر الحديث .

فهو يحدثنا عن مصطفى مختار بك أول وزير للمعارف المصرية الذي أرسله محمد علي باشا مع البعثة المصرية إلى فرنسا ، وهي تلك البعثة التي كان رفاعة الطهطاوي إماماً لها .

ويحدثنا بعد ذلك عن شاعر الخديو الأول الشيخ محمد

شهاب الدين وهو كما حدثنا صاحب هذا الكتاب « الشاعر الرسمي لمصر الحديثة . ولم يكن هذا الشيخ ربيب الأزهر وإنما كان وزاناً صغيراً في أسواق البيع والشراء . وكأن الوزن المادي في الأسواق النافقة والكاسدة كان تمهيداً للوزن المعنوي في سوق القريض والقصيد فقد أصبح هذا الوزان شاعراً رسمياً للخديوي يزن القصيد ويتغنى الناس بشعره .

على أن شعر الشيخ لم يكن جيداً وقد قدم الكاتب نموذجاً لشعره وحلله إلى أن انتهى بهذا الحكم الصادق وهو « أننا نكلف رجال ذلك العصر شططا إذا طلبنا منهم أن يكونوا أجود مما وصلوا إلينا فقد كونتهم بيئتهم ثم مهدوا السبيل بعد ذلك للبارودي الذي اجتمعت له ولعصره أسباب الإحياء في الشعر العربي » .

ويحدثنا بعد ذلك عن عالم طريف مغمور هو الشيخ محمد عياد الطنطاوي الذي سافر من مصر إلى بتروجراد عاصمة روسيا يعلم اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية فكان له أثر كبير في المستشرقين من الروس . ولقد لقي الكاتب عناء شديداً في الترجمة لهذا الشيخ فأخذ يجمع سطراً من هنا وإشارة من هناك ويتصل اتصالاً شخصياً بمن يظن فيه شبهة معرفة بتاريخ ذلك الرجل حتى أخبره البروفسور ولوتسكي بالجامعة المصرية أن للشيخ مؤلفاً بعنوان تحفة الأذكيا بأخبار بلاد روسيا ، وأن الكتاب مخطوط يوجد منه نسخة في اسطنبول . ولا ريب في أن مثل هذا الكتاب طريف فريد في بابه فضلا عن قيمته التاريخية الكبيرة ، فهو يصور الحياة في روسيا في منتصف القرن التاسع عشر بقلم مصري أزهري . فهل نطمع في قيام أحد علمائنا باجتلاب هذا المخطوط وطبعه ؟

وينتقل بنا الأستاذ عبد الغني بعد ذلك إلى الحديث عن شاعر مصري ، وقف شعره على أشراف الحجاز يسمى محمود صفوت الساعاتي ، سافر للحج فاتصل بالشريف محمد بن عون أمير مكة فقربه إليه وصحبه في حروبه مع أمراء نجد ، فصور الساعاتي هذه الحروب شعراً يذكرنا كما يقول عبد الغني بشعر المعارك عند المتنبي في القديم وعند البارودي في الحديث . وذلك مثل قوله في مدح الشريف ابن عون :

إذا تألق برق السيف في يده
أبصرت غيث دم الأبطال منسفحا
مقوم كل معوج بصارمه   فكل خصم لهذا صار منطرحا

وقد طاف الساعاتي بكثير من أغراض الشعر فمدح وطلب وعتب ورثى ، فلم يخرج في ذلك عن مألوف القدماء .

وكنا نود أن يحدثنا الأستاذ عبد الغني عن الشاعر السيد علي الدرويش بعد أن حدثنا عن شهاب الدين مباشرة لأنهما من الذين احتضنهما عباس الأول بمجلسه حتى كان كل منهما يلقب بشاعر عباس الأول . وقد ترجم له ترجمة جيدة درس فيها شعره علاً أغراضه وبين الخصومة التي كان لابد أن تقع بينه وبين شهاب الدين حتى بلغ من هجاء الدرويش لخصمه أن يقول له في قصيدة يهجوه فيها :

عاش دهراً وجهله في ازدياد   ليته بعد لم يكن ليعيشا .

وينقلنا المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن علم من أعلام الأدب في مصر الحديثة كان له أثر عظيم وفضل كبير على نهضة الأدب في مصر هو الشيخ حسين المرصفي الذي ظل يدرس في الأزهر إلى أن كانت نظارة علي مبارك فعهد إليه بالتدريس في دار العلوم وكان يحضر عليه كثير من أعلام العصر منهم علي مبارك نفسه . وقد اختط في تدريس الأدب العربي والبلاغة منهجاً جديداً ظهر في كتابه المسمى بالوسيلة الأدبية قد وصفه علي مبارك برقة المزاج وحدة الذهن وشدة الحذق .

ونجد علماً آخر مجهولاً ولكنه أثر في الحياة الأدبية عن طريق الصحافة هو حسن حسني الطويراني باشا والذي دعا المؤلف أن يترجم له هو سؤال سائل في مجلة الرسالة أن يتفضل أحد الأدباء برواية قصة الشاعر المغمور . فافتتح الأستاذ عبد الغني ترجمته بعجبه أن ينسى أديب عربي مشهور وصحافي ذائع الصيت ، وشاعر قوي العبارة ، ولما يمض على وفاته نصف قرن كامل ؛ فكيف إذا خب الطلي به عشرات القرون ؟

ولد الطويراني في مصر ولكنه تركي تنقل من بلد إلى بلد حتى قال عن نفسه :

شرق النسر وغرب   وتترك وتعرب
ولئن أطرى وأطرب   فهو نصاح مجرب
وهو إن أعرب أغرب   وهو إن أعجم أعرب

وحرر في صحف تركية وأخرى عربية كانت تصدر في القسطنطينية وكانت تغلب عليه الروح الإسلامية ونزعة الإصلاح وله ديوان شعر ولكنه غير جيد ، وقد درسه المؤلف دراسة مستفيضة فتكلم

عن أغراضه وعن أسلوبه وعن مآخذ عابها فى شعره .

ثم نجد فصلاً طريفاً يحدثنا فيه عبد الغنى عن شوقى وحافظ بين الكتب وهو فصل طريف لأننا على وثوق معرفتنا بشوقى وقراءتنا لديوانه وتمثيلياته وقصصه نجهل عنه بعض تآليفه مما أخرجه فى صدر شبابه ؛ فأسدل عليه ستار النسيان فقد كتب شوقى رواية ظهرت فى ١٨٩٧ تسمى عذراء الهند ترجع حوادثها إلى زمن رمسيس الثانى وهى أول محاولة لشوقى فى معالجة الفن الروائى ولكنها لم تنجح . وظهرت له بعد عامين رواية نشرتها مجلة الموسوعات تسمى لادياس قصد منها شوقى أن يصور حالة مصر بعد عهد ابسماتيك الثانى ، وقد كتبها نثراً ولكنه نثر مطبوع بطابع العصر يمتاز بتكلف السجع وفيها يقول : « وكانت لادياس فتنة الناس ، بالبدر الطالع فى الغصن المياس ... » وقد تحرر شوقى من السجع بعد ذلك كما نرى فى رواية أميرة الأندلس .

ولشوقى رواية ثالثة هى ورثة الآس .

ولا أحب أن أمضى فى هذا التلخيص إلى نهاية الكتاب حشية الإطالة ، فنحن نجد بعد ذلك ترجمة دقيقة للشيخ محمد شاكر الذى كان وكيلاً للأزهر فى مطلع القرن العشرين وهو والد صديقنا الشيخ أحمد شاكر الذى ينشر الآن مسند الإمام أحمد بن حنبل .

ويحدثنا عن أدباء عرفناهم واتصلنا بهم مثل اسماعيل أدهم وفكرى أبو السعود ، وإسعاف النشاشيبى ، وأنطون الجميل .

فأنت ترى أن الكتاب قد جمع أعلاماً مختلفين اختلافاً شديداً ولكن تربطهم رابطة قوية هى رابطة الأدب فى مصر الحديثة .

ويبدو أن نصيب الشعراء أوفر ولا غرو فصاحب الكتاب شاعر تستجيب نفسه إلى الشعراء فتجمعه وإياهم صلة الصناعة ، ولذلك كانت دراسته لهؤلاء الشعراء دراسة الحاذق البصير والناقد القدير .

وقد انتهى ما ذكره عن شوقى من أن نثره يكاد يكون شعراً ففيها هذه الموسيقى التى تطرب لها الآذان ولذلك حاول أن يرد بعض نثره إلى الأوزان الشعرية مثل قوله فى الوطن .

ومراد الرزق ومطلبه وطريق المجد ومركبه

فهو بيت من بحر المتدارك فقلت فى بالى : وأنا أقرأ أسلوب عبد الغنى وأحسن فيه بهذه الموسيقى التى ترتاح إليها النفس أن ذلك أثر من آثار صناعة الشعر وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده .

أحمد فؤاد الأهوانى

ثـــلاثة كتب

جديرة بأن تزدان بها مكتبتك

تأليف

محمود تيمور بك

— ١ —

إحســـان لله

أحدث مجموعة قصصية للمؤلف

— ٢ —

المخبـــأ رقم ١٣

كتاب يحوى نسختين من هذه القصة الطريفة

الأولى بالفصحى والثانية بالعامية

— ٣ —

اليـــوم خمر ..!

قصة النفس الإنسانية الحائرة

ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف بشارع الفجالة بالقاهرة